وأما إذا حمل على الظاهر المتبادر إليه الأذهان ابتدا وهو كونه آنيا فلا يتأتى
ذلك بين وجه تقديم التسمية مشيرا إلى الإيراد وجوابه بقوله إلا أنه قدم
التسمية لأن النصين متعارضان ظاهرا يعني بنا على حمل الابتداء على الآني
الذي هو الظاهر المتبادر إذ الابتدا بأحد الأمرين على تقدير حمله على
الآني مفوت للابتدا بالآخر على ذلك التقدير بلا مرية وأما إذا حمل على
العرفي الممتد فلا يتصور الابتدا بأحد القيدين لما عرفت أن المقيد لا يوجد
بدون القيد فلا يتصور التعدد دونه والحاصل أن الجمع والتوفيق بينهما ممكن
حينئذ أيضا حتى لو لم يكن ممكنا لكان من الجائز الاكتفاء بالتوفيق السابق
لكنه يمكن تحمل أحدهما على الحقيقي والآخر على الإضافي لخصوص التسمية بالحقيقة
عملا بالكتاب الوارد بتقديمها على التحميد فلا يتوهم ورود الإشكال بقوله
حكاية أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم وإن كان مدفوعا لأن الكلام
فيما إذا اجتمعا في أول وعملا بالإجماع المنعقد على تقديم التسمية عليه إذ
ما من شارع في التصنيف إلا يقدم التسمية على التحميد فكان من قبيل الإجماع
الفعلي ثم لما ورد على هذا أن الترتيب لما اعتبر بين التسمية والتحميد كان
الجائز عطف الثاني على الأول فما وجه تركه أجاب بقوله وترك العاطف
بين الجملتين لئلا يشعر بالتبعية فيخل بالتسوية المطلوبة يعني أن
العطف باعتبار الحالية وهي بالنظر إلى الابتدا المقرر وقد عرفت أنهما
مستويان فيه لا تفاوت بينهما فيه بوجه من الوجوه فلو عطف أحدهما على
الآخر لأخل بالتسوية لأن العطف لكونه من التوابع وإن كان في الإعراب
مشعر في الجملة بتبعية الثاني للأول بحسب الوقوع وإن لم يقصد وح
يكون قوله وترك معطوفا على قدم ويحتمل أن يكون معطوفا على إذا وحاول
لكن الأول أولى لفظا لقربه ومعنى لزيادة دقة فيه فتلخص من جميع ما
ذكرنا أن المص كأنه وفق بين النصين بعبارته على الاعتبار الأول للابتدا
وبإشارته على الاعتبار الثاني فتدبر فإن هذا المقام مما اشتبه على أقوام
حتى ضل عنهم المرام فأضلوا كثيرا من الأنام قوله لأن قوله وبعد الخ
لأن أن يمنع عما بعده فيما قبله خصوصا إذا قدر أما قبل بعد وأما على
النسخة القديمة وهي هكذا ومن حلية الصلوات محليا ومصليا بقول
العبد المتوسل الخ فإن الظاهر أنه حال عنه أي عن فاعل يقول لأنه ثابت في
الظاهر وجزء من الكتاب قطعا بخلاف الابتدا فإنه مع عدم ثبوته ظاهرا
إنما يصح اعتباره إذا جعل جزءا من الكتاب وخلافه محتمل قوله فيحتمل وجوها
الخ فإن قيل هل يحتمل أن يكون بمعنى أولا في التنقيح وثانيا في التوضيح

قلنا

قلت لا لانتفاء المقارنة بين الحال والعامل ح اللهم إلا أن يجعل من
قبيل قول الشاعر لصائده في مرسه ورد أسود صحابه موسى بن جعد
أباته التسع قوله لكمال ذاته وعظمة صفاته أي لذاته الكاملة وصفاته
العظيمة فإن قيل الذات من حيث هو هو كيف يستحق الحمد والحمد عليه
يجب أن يكون فعلا اختياريا قلت معنى استحقاق الذات استحقاقه
لصفاته الذاتية فإنها لما لم تكن عين الذات وإن لم تكن غيرها أيضا أعطيت حكم
الذات لخلاف الأفعال يدل على ذلك ذكر الصفات مع الذات وذكر الاستحقاق
الفعلي في مقابلة الاستحقاق الذاتي ثم جعلت تلك الصفات لابتنائها عن
الأفعال الاختيارية عنها ولكون الذات كافيا فيها بمنزلة أفعال اختيارية يستقل
بها فاعلها وبعضهم منع اقتضاء سبق الاختيار الحدوث لجواز كونه بالذات
لا بالزمان وليس بشيء لأنه مخالف للمذهب لأن المتكلمين لا يقولون
بالتقدم الذاتي قوله إلى الإيجاد والإبقاء أولا الخ نقل عنه أنه قال المحشي المراد
أن أولا وثانيا ظرفا الإيجاد والإبقاء لظهور أنهما متعلقان لحامدا لكن المراد
أن في تفصيل الحمد وتقسيمه إشارة إلى نعمتي الإيجاد والإبقاء أولا وثانيا
على معنى حامدا في أول الأمر على الإيجاد والإبقاء في الدنيا وفي ثاني الحال
على الإيجاد والإبقاء في الآخرة ثم إن القرآن يشتمل على خمس سور
مصدرة بالتحميد والفاتحة لما كانت أم الكتاب أشير فيها إلى نعمتي الإيجاد
والإبقاء في داري الفناء والبقاء أما إلى الإيجاد الأول فبقوله رب العالمين
فإن الإخراج من العدم إلى الوجود أعظم تربية وأما إلى الإبقاء الأول
فبقوله الرحمن الرحيم أي المنعم بجلائل النعم ودقائقها التي بها الإبقاء وأما
إلى الإيجاد الثاني فبقوله مالك يوم الدين وهو ظاهر وأما إلى الإبقاء
الثاني فبقوله إياك نعبد فإن منافع ذلك يعود إلى الآخرة والوصول
إلى الجنة وسعة الرحمة ثم أشير في كل من السور الأربعة الباقية
إلى واحدة من النعم الأربع أما في سورة الأنعام فإلى الإيجاد الأول
وهو ظاهر وأما في سورة الكهف فإلى الإبقاء الأول فإن نظام العالم وبقاء
الشرع يكون بالنبي عليه الصلاة والسلام والكتاب وأما في سورة
سبأ فإلى الإيجاد الثاني لانسياق الكلام إلى إثبات الحشر والرد على
منكري الساعة حيث قال تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى
وربي وأما في سورة فاطر فإلى الإبقاء الثاني بقوله جاعل الملائكة رسلا
عليها قيل إنه إشارة إلى تلقي الملائكة لأهل الجنة بالتسليم واستقبالهم
بالتبجيل والتكريم ولا يذهب على ذي دربة في صناعة التوجيه أن مراد

اقتضا سبق الاختيار الحدوث

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)